

الأستاذ : د. محمد بك

قسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار - عنابة -

المستوى : أولى ماستر

المقياس : العلاقات الجزائرية الأوروبية 1

محااضرة الأسبوع الأول شهر ماي 2020

حملات الانجليز على الجزائر

قامت انكلترا بعدد من الهجمات البحرية على الجزائر ، بدأت منذ عام 1620م بلغ مجموعها 11 هجمة ، باءت جميعها بالفشل عدا حملة عام 1816م بسبب استعمال الخدعة في الدخول إلى ميناء الجزائر، وكانت خسائر الأسطول الانكليزي حتى ذلك العام باهظة ، ولم تحقق نجاحات كبيرة أو تمنع دفع الإتاوات لحكام الجزائر مقابل إعطائهم الأمان لدخول البحر المتوسط .

منذ بداية القرن 17م دخلت الجزائر عهد جديد للغزو البحري بحيث تمكن الجزائريون من أسر 466 إنجليزيا وبالتالي لم تبق أية حصانة للسفن الانجليزية في البحر الأبيض المتوسط ، وصار حينها الأسطول الجزائري يشكل تهديدا كبيرا لسفن دول شمال أوروبا .

الانكليز يحاربون الجزائر:

كان الأسطول الجزائر المحارب يتكون من مائة سفينة ، وكان عدد رجال البحر يفوق 30 ألف مقاتل، أطلق ملك الانكليز جيمس الأول حرية العمل لقرصنته في البحر المتوسط خاصة بعد أن حققوا أرباحا كبيرة من خلال هجماتهم على سفن تجارية على السفن التجارية الاسبانية والبرتغالية ، و في سنة 1620م أراد إرغام دولة الجزائر على ترك الحرب البحرية ضد السفن الانكليزية ، دون أن يعقد معاهدة مع الجزائر يسود بواسطتها السلام . وجاء الأسطول الانكليزي الى الجزائر ، تحت قيادة الأميرال مانسل وكان يتكون من 18 سفينة حربية وتجارية مزودة بعدد كبير من المدافع ، وتحمل 1500 مقاتل ، وطالب الجزائريين بتسليمه ما لديهم من أسرى الانكليز ، فرفضوا الإذعان لذلك الإنذار، وبعد أيام لحق به أسطول اسباني يتشكل من ست سفن وأخذ الأسطول يرمي القنابل على المرسى ، وحاول أخذ سفن من أسطول الجزائر ، فلم يقدر على ذلك ، وأنزل رجاله حوالي المدينة قصد إرهاب الجزائريين ، فما استطاعوا أن ينالوا منهم منالا ، وفي ديسمبر غادر الانجليز ميناء الجزائر، وقد فشل التحالف الثلاثي الانكليزي ، الاسباني ، الهولندي في تشكيل قوة مشتركة لضرب الأسطول الجزائري وبذلك فشلت الحملة في تحقيق هدفها.

الحملة الانجليزية سنة 1662م : رفض الانجليز التوقيع على معاهدة 1660م ، ولضغط على الجزائريين وحملهم على التراجع ، قررت انجلترا ارسال قوة بحرية بقيادة الأميرال ادوارد مونتاغو ، كونت دي ساندويتش ، وفي جويلية 1661م قصف مدينة الجزائر ، وقد واصل السير لاوسون الحرب ضد الجزائريين، وفي أفريل 1662م هاجم الانجليز مدينة بجاية واستولوا على أربعة سفن ، وتوجهوا بعدها لمحاصرة ميناء الجزائر.

الحرب مع الانجليز 1669م:

لقد ازدادت الهجمات الانجليزية على الجزائر في عام 1668م فأمر علي آغا بمطاردة السفن الانجليزية ، وفي أكتوبر قدم الأميرال توماس آلن إلى الجزائر للمفاوضة بمساعدة القنصل جون وارد الذي خلف نيكولاس باركر لكنها لم تحقق نتيجة تذكر.

يبدو أن الانكليز أرادوا استغلال الانتفاضات داخل الجزائر ، فحاولوا الهجوم على الجزائر في خريف 1669م ، حيث عاد آلن ثانية على رأس 25 بارجة وبعد مباحثات غير مجدية فتح الانجليز النار على برج المول ، لكن المدفعية الجزائرية نجحت في ردهم على أعقابهم . لكن ذلك لم يمنع الانكليز من مواصلة الحرب في البحر ضد المراكب الجزائرية ، وكثرت الهجمات وألحقت بها خسائر متعددة الى درجة أن سكان مدينة الجزائر أصبحوا يخشون من هجوم أجنبي ، وامتزجت هذه المخاوف بشعور الثورة على الأتراك ، مما اضطر علي آغا الى توزيع الأموال على السكان وتعزيز الحصون . وفي ماي 1671م عاد الانكليز إلى مهاجمة ميناء بجاية وأضرموا النار في ثمانية مراكب راسية واستولوا على ثلاثة أخرى ، وكان رد الفعل في مدينة الجزائر اغتيال الترجمان الانجليزي ونهب مقر القنصلية وسجن القنصل وكبار التجار. وفي شهر جويلية من نفس السنة هاجموا ميناء الجزائر وأضرموا النار في ثلاث مراكب وأغرقوا مركبا آخر، كما أحدثوا تخريبا في رصيف الميناء . هذه الخسائر التي لحقت بالأسطول الجزائري بسبب هجمات الانكليز وغيرهم أثار سخط طائفة الرياس التي أشعلت فتيل اضطرابات معقدة في الجزائر راح ضحيتها علي آغا وأدت إلى إنهاء نظام الآغاوات .

معركة بحرية في 1711م :

بدأت بريطانيا برفع علمها على أكثر السفن الايطالية والاسبانية ، بل أحيانا يرفع على سفن ليس فيها فرد بريطاني واحد ، وقد حدثت أزمة حادة عام 1711م حين أطلق بحار بريطاني النار على سفينة جزائرية ، وكانت المعركة بين الطرفين غير متكافئة إذ كانت السفينة البريطانية تحمل 44 مدفعا ، في حين كانت السفينة الجزائرية مزودة ب 12 مدفعا فقط ، لذلك خسر الجزائريون نصف الطاقم بين قتيل وجريح ، وتداركت بريطانيا ذلك بإرسال برقية إلى الداوي علي باشا شاوش (1710- 1718م) مفادها ، معاقبة الضابط المسؤول عن الحادث مع عدد من الهدايا ، لتدارك قيام حرب بين الجانبين . غارة نبورغ على مدينة الجزائر 1678م:

قدم أسطول انجليزي إلى مدينة الجزائر بقيادة الأميرال نبورغ سنة 1678م ، حيث قام باستعراض حربي بغية إخافة الداى وحاشيته ، الا أن المدفعية الموجودة في الحصون الجديدة ردت عليه بالقذائف فابتعد عن المدينة دون تحقيق أي هدف يذكر .

الحملة الانجليزية - الهولندية على الجزائر 1816م :

بادرت هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر جويلية 1815م ، قصد تجديد معاهداتها مع الجزائر ، ولكن الداى عمر باشا رفض التفاوض مع الهولنديين قبل أن تدفع بلادهم الإتاوات المتأخرة وفي تلك الظروف ظهر الأسطول الانجليزي في ميناء الجزائر عدة مرات .
لقد اضطر الداى عمر أمام هذه التحركات التي تنذر بالخطر الى بعث رسالة الى السلطان محمود الثاني في 15 ماي 1815م أخبر فيها بتحركات الأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط ، ونوايا الدول الأوروبية السيئة تجاه الجزائر ، وضرورة تعضيد السلطان للجزائر بالجند والسلاح ، ولم يدخر الباب العالي جهدا في تنبيه الايالات المغربية للأخطار التي تحيط بها ، فأرسل مبعوثه ينصح فيها ولايتها بالالتزام باليقظة لمواجهة أي هجوم عسكري تقوم به احد الدول الأوروبية وقد ذكر عمر باشا في الرسالة التي بعث بها الى السلطان في 01 جوان 1816م " أننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذي هو تحت كفالتنا ، واننا مستعدون للتضحية بأنفسنا دفاعا على ذلك " .

وفي أواخر أوت 1816م اجتمع وزير الخارجية البريطاني اللورد كسلييه مع سفراء كل من روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا في لندن ، وبحث معهم مشروع تكوين حلف عسكري مشترك لمدة سبع سنوات الهدف منه مقاومة الايالات المغربية ولم يكن هدف انكلترا من وراء عقدها لمؤتمر لندن سوى كسب تأييد أوروبي لحملتها العسكرية التي كانت تعد لها وقررت إرسالها إلى الجزائر بالاشتراك مع هولندا . ومن التبريرات التي وجدتها انكلترا لحمايتها ضد الجزائر ، أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في سواحل عنابة تحمل العلم الانجليزي ، ومن جهة أخرى أسروا رعايا سردينيا ونابولي . وفي شهر ابريل عام 1816م وصل الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر ، قصد اقتداء أسرى مملكتي سردينيا ونابولي .

وقد جاء في تقرير الحاج عبد الله مبعوث الداى عمر الباب العالي : " أنه عندما اقترب اللورد اكسموث من ميناء الجزائر أرسل مبعوثا الى الباشا ليخبره بأنه يريد اقتداء أسرى سردينيا الموجودين في الجزائر ، لأن هؤلاء الأسرى يعتبرون من رعايا انكلترا .. وإذا وافق حاكم الجزائر على ذلك فإنه مستعد أن يدفع مقابل كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 أسيرا ألف ريال . وقد وافق الباشا على اقتراح الذي عرضه عليه أكسموث . " الا أن القائد الانجليزي طلب أيضا من الباشا أن يطلق سراح الأسرى التابوليتانيين البالغ عددهم 1200 أسيرا .. وقد عرض القائد الانجليزي على الباشا ألف ريال

مقابل كل رأس ، الا أن الباشا لم يستجب لهذا الطلب .. النابوليتان دولة مستقلة ولها ملكها .. ولذا فإننا مستعدون أن نسلم لكم هؤلاء الأسرى ولكن بعد أن تدفعوا ثمن فديتهم المتفق عليه". وبعد هذا التقرير اتجه الأسطول الانجليزي نحو تونس وطرابلس ، حيث أبرم مع حكامها معاهدة سلم ، وحرر أسرى سردينيا ونابولي منهما دون أن يدفع لهما فدية.

وفي شهر ماي عام 1816م عاد الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر ، ولما علم اللورد اكسموث باستعداد الجزائر لمحاربه رفع العلم الأبيض ، وقبل تسوية مشكلة الأسرى في إطار الأوامر السلطانية ، كما طلب من الداى أن تتولى السفينة الانجليزية مهمة حمل هدية الجزائر إلى الدولة العثمانية . ومن جهة أخرى اعترف الداى بمملكة هانوفر الجديدة ، وسمح لها بالتمتع بالامتيازات التي نصت عليها المعاهدة الجزائرية الانجليزية ، باعتبار تلك المملكة تابعة للإمبراطورية وبسبب نتائج هذه الحملة جعل كل من مملكتي نابولي وسردينيا تدين الحملة البريطانية وتتهم بريطانيا بالتقاعس تجاه واجباتها المسيحية .

قررت انجلترا تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر ، حيث غادر أسطولها ميناء بليموث بقيادة اللورد اكسموث يوم 28 جويلية 1816م وانظم اليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فون كابلان ، إن ايلة الجزائر كانت تعلم منذ سنة أن الأسطول المسيحي يتجول في عرض البحر المتوسط ، وأن الدول الأوروبية تضمّر الشر ضدهم . وقد جاء في احدى الوثائق العثمانية وهي عبارة عن رسائل بعث بها عمر باشا إلى السلطان العثماني بتاريخ 01 جوان 1816م : " لقد علم أوجاقتنا من مالطة أن الدول المسيحية قد تحالفت على إنشاء أسطول مشترك بينها وقوة مدفعية لمحاربتنا ، ومن الواضح أنهم يضمرون لنا النوايا المسيئة تجاهنا ... " .

وقد شرح اللورد اكسموث خلال هذه الحملة بأن مؤتمر فيينا قد قرر إلقاء الرق والقرصنة ، وطلب أن يقبل الجزائريون هذا القرار وأن يحرروا أرقاءهم المسيحيين ، وقد كان الداى والديوان كلاهما غاضبين من هذا الموقف . كيف يمكن للدول الأوروبية أن نفسها حق التدخل في نظام قائم منذ أمد طويل على عادات وقوانين بلادهم . ومما تجدر الإشارة إليه أن اللورد اكسموث وفون كابلان أميرال البحر كانا على علم بالتحصينات ونقاط دفاعات مدينة الجزائر بفضل النقيب وارد والضابط زيغل اللذين مكننا رئيسهما من معلومات هامة حول الإستراتيجية الدفاعية لمدينة الجزائر .

وكانت الذخيرة الحربية الانجليزية والهولندية قد بلغت 450 مدفعا من عيارات مختلفة ، أما تحصينات مدينة الجزائر فتتوزع على الشكل التالي : المنطقة الشمالية 44 قطعة مدفعية ، وفي برج الفنار 48 مدفعا ، وفي البرج الشرقي 60 مدفعا ، وفي برج السردين 15 مدفعا ، وكان الداى عمر أرسل تقريرا مفصلا عن حالة الحصار بصفة عامة ، حملها رئيس الميناء القبطان علي الى الباب العالي جاء فيها : " رغم أننا أبرمنا اتفاقا مع الانجليز والهولنديين والذي نص على انتظار مدة ستة أشهر لإعادة النظر في مسألة الأسرى فإنهم قدموا الى الجزائر بأسطول ضخم يتكون من 30 قطعة ،

وكان ذلك يوم 15 أوت 1816م ، وبعد أن رفع الأسطول العلم الأبيض رمز الصلح والسلام ، أرسلوا لنا زورقا ليسلم لنا رسالة تتضمن شروطهم والتي قضت بأن نسلم لهم جميع الأسرى الموجودين في الجزائر ، ونرد على رسالتهم خلال ساعة واحدة فقط لما شرعنا في إعداد الجواب ، تقدمت بعض قطع الأسطول من التحصينات ، وبدأت تقصف مواقعها بالقذائف ... واستمرت الحرب بكل ضراوتها من الساعة الثامنة صباحا إلى منتصف الليل .

ويمكن سر خسارة الجزائريين إلى عامل تضييع الوقت بخصوص الدفاع عن المدينة ، لأن الجيش كان ينتظر أوامر الداى ، فلو تمكن المدافعون من إشعال النار وقصف الأسطول الانجليزي والهولندي لكان النصر حليفهم . ويرى القنصل الفرنسي دوفال (1814م-1827م) أن سر نجاح الحملة على الجزائر يرجع إلى أن الأيام التي قضاها الأميرال البريطاني في الجزائر ففي خلال سنة واحدة زارها ثلاث مرات من أجل المفاوضات ، تمكن من خلالها من معرفة مواقع القوة والضعف في تحصينات مدينة الجزائر ، وسرعة الداى عمر من أجل التفاوض فلو أخر ذلك لما تمكن الانجليز من إحراز النصر ، لأنه في اليوم الثاني نفذت الذخيرة الحربية ، وكان حجم الخسائر كبيرا لدى الأسطول المشترك . وهو ما ذهب إليه شالر عندما ذكر باعتراف الجزائريين بعجزهم عن المزيد من المقاومة . ثم قبلوا الشروط المهينة التي فرضها المنتصرون ، أما المؤرخ الأمريكي وولف فيقول : " عندما سكتت المدفعية سارع الداى عمر بعقد السلام بالشروط الانجليزية الهولندية عمليا ما عندها من بارود وقذائف ، وكانت غير قادرة على القيام بهجوم آخر " لقد كانت شروط المعاهدة التي فرضها المنتصرون على الجزائر قاسية ، إذ نصت على الغاء نظام الرق وتحرير الأرقاء المسيحيين الموجودين في الجزائر بمختلف جنسياتهم ، ودفع تعويض حربي مقداره 500000 فرنك ، واعتذار الداى علانية عما جرى للقنصل الانجليزي . ومن مجموع 3000 أسير كان موجودا بالجزائر تم تحرير نصف هذا العدد وهم توزعون على النحو التالي: نابولي صقلية 1110 ، سردينيا جنوة 62 ، بيدمونت 6 ، روماني 174 ، توسكانيا 6 ، اسبانيا 226 ، البرتغال 7 ، اليونان 7 ، هولندا 28 ، انجلترا 18 ، فرنسا 2 ، النمسا 2 المجموع 1642 أسيرا .

والملاحظ أن هولندا عقدت هي أيضا معاهدة مع الجزائر أورد الزهار: " وكذلك عقد الصلح مع الهولنديين ولم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم وهو غرامة سبع سنين ، وكانوا يعتزمون يدفعوا غرامة ثلاث سنين ثمنا للصلح ، تدفع في أجل معلوم .

لقد اختلفت الكتابات في تقدير حجم الخسائر المادية والبشرية لكلا الطرفين خلال هذه المواجهة العنيفة فبخصوص عدد الجرحى والقتلى إن الوثائق الجزائرية تشير الى 300 قتيل في صفوف الجزائريين آلاف انجليزي وهولندي ، بينما يذكر شالر أن حوالي 600 قتيل وجريح جزائري و128 قتيل انجليزي 690 جريحا انجليزيا ، و13 قتيلا و25 جريحا هولنديا . أما شاو فقد قدر القتلى والجرحى في صفوف الجزائريين ب600 ، و173 قتيلا و744 جريحا هولنديا وانجليزيا . أما تقرير القبطان

الأمريكي سومر الذي تحدث عن مقتل 3000 جزائري من جراء القصف ، وتعرض نصف المدينة للحرق وتم احراق الأسطول الجزائري .

كان حجم الخسائر كبيرا إذ تحطمت معظم السفن الانجليزية من جراء المدفعية الجزائرية ، ويشير دوفال بأن هناك حوالي 3000 قتيل في الجانب الجزائري ، كما تضرر الميناء والتحصينات ومخازن الأسلحة والبارود من القصف المدفعي ، كما تحطمت معظم بنايات مدينة الجزائر . وقد حمل الجيش الجزائري الداي عمر مسؤولية أضرار المصائب التي تعرضت لها الجزائر لذا تم اغتياله من طرف عناصر الانكشارية عام 1817م .

ومن البديهي أن تكون للحملة نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية منذ مطلع القرن 19م ، فبتحرير الأسرى المسيحيين دون فدية ضيع على الجزائر فرصة انتعاش الخزينة بحوالي مليونين من الريالات الفرنسية ، والملاحظ أن الحملة الانجليزية الهولندية لعام 1816م قد أسهمت في إنهاء الحكم العثماني في الجزائر .

الحملة الانجليزية على الجزائر 1824م :

أعاد الانجليز الكرة مرة ثانية في يوم 24 جويلية وشنوا حملة عسكرية ضخمة ضد مدينة الجزائر وفي هذه المرة وجدوا مقاومة كبيرة من طرف الجزائريين الذين لم يستسلموا ، حتى قاموا برد الهجوم وكان الأهالي قد غادروا المدينة نحو المرتفعات المجاورة لها ولم يبق في المدينة سوى الجنود الذين صمدوا ووقفوا في وجه المدافع الانجليزية بكل بسالة وشجاعة وأرغموا الانجليز في الأخير على الانسحاب من ميدان المعركة ، والقيام بإبرام معاهدة صلح مع الداي الذي قبل بعدد من الشروط الانجليزية مقابل استبدال قنصلهم ماك دونالد .

لقد واجهت الجزائر الحملات الانجليزية بكل بسالة دون أن تلقى أي مساعدة عسكرية أو سياسية من طرف الدولة العثمانية ، التي لم يكن في وسعها تقديم أي شيء سوى التعبير عن رفضها لهذه الاعتداءات المتكررة على ولاياتها خاصة الجزائر المستهدفة الرئيسي ، على عكس السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر التي استطاعت أن تحتوي جميع تلك الاعتداءات والحملات سواء بالقوة أو المعاهدات والاتفاقيات حتى لو شهدت العديد من التنازلات وتقديم الامتيازات لبعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وانكلترا تجنبا لشرها .